



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية
المرحلة دكتوراه الأدب

المادة:

فنون نثرية قديمة

محاضرة أدب الرحلات

مدرس المادة: أ.د. أسماء صابر جاسم

المحاضرة التاسعة

2026م

1447هـ

أدب الرحلات

مفهوم أدب الرحلة:

الرحلات: يعتمد الرحالة فيها على إيراد العجائب والغرائب كرحلة أبي حامد الغرناطي 565 هـ التي سماها "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب"، والتي تنطوي على الكثير من الخيال، وتتضمن عوالم غريبة، وكائنات عجيبة، تنأى عن الواقع، وتجنح إلى التحليق بالخيال.

أدب الرحلات هو ذلك الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها إلى أحد البلدان.

وقد ذهب الرحالة المسلمون إلى أماكن كثيرة لأسباب شتى، وبعضهم كان يدون رحلته، ويسجلها قصة باقية عبر العصور. فمن أسباب تدوين الرحلات أن يطلب الحاكم من الرحالة تدوين الرحلة، أو يطلب الأصدقاء ذلك، وقد تكون رغبة الرحالة أنفسهم في إفادة القراء وتثقيفهم بالجديد، ومن الأسباب أيضاً أن يهتدي المسافرون بهذه الرحلة المدونة فتكون دليلاً لهم، وكذلك لإبراز مناسك الحج والعمرة، وإعانة المسلمين على معرفة الديار المقدسة وكيفية الوصول إليها والتجول فيها، وللتاريخ وللبلدان وحضارتها وشعوبها، وللتعريف بالبلدان الغريبة وأبرز معالمها وعجائبها وعاداتها وتقاليدها.

دون الرحالة في مذكراتهم أخباراً ومشاهد وأوصافاً وتعليقات وملاحظات موجزة، ثم عمدوا إلى تهذيبها وصوغها بأسلوب جميل، إما في أوقات الراحة في أثناء السفر، وإما بعد الرجوع من السفر. ويشعر الرحالة المغامر أحياناً في سرد حكاياته وقصصه ومغامراته على الكاتب الذي يصوغها بأسلوبه الجميل، وقد اعتمد الرحالة العربي على النظر فيما يكتبه ويرويّه، كما اعتمد على السمع، وعلى قراءة ومطالعة الكتب والأخبار.

ومن الصفات الحميدة التي اتصف بها الرحالة المسلم الصدق والأمانة في الأخبار التي يرويها، وفي وصفه للمناظر والمشاهدات والحوادث، ومنها الذكاء وسعة الأفق وعمق التفكير، وإعمال التأمل، والموضوعية وعدم التحيز، وحب البحث والتمحيص والنقد والتحليل.

• بماذا يهتم الرحالة في كتاباتهم؟

1. ما يتصل بالرحلة ذاتها، من الاستعداد لها وتجهيز الخرائط وذكر صعوبة الرحلة.
2. اضطر بعض هؤلاء الرحالة للعمل بالتجارة للإنفاق على تلك الرحلات، فراقبوا الاقتصاد، وتحدثوا عن المراكز التجارية والتبادل التجاري، وعن الصناعة والزراعة.
3. اهتموا بطباع الناس وطبقاتهم وألوانهم وانتماءاتهم وصفاتهم ولغاتهم.
4. ذكروا علماء تلك البلدان، وتحدثوا عن مدارسها ومساجدها، وعن الأدباء والأطباء والمشافي والعمران.
5. صوروا الطبيعة بتضاريسها من جزر وجبال وسهول ووديان وأنهار وهضاب.

أسلوب كتابة الرحلة:

يعمد الرحالة إلى تضمين الرحلة بعضاً من آيات القرآن الكريم والأشعار، ويرون في ذلك تأكيداً لكلامهم، كما يشيع في الرحلة الحوار، والمشهد القصصي فيها مستمر، والوصف من أدواتها الرئيسية، ومن أجل إضفاء الحيوية، وإبعاد الملل، وإثارة التشويق لدى القراء، اعتمد كتاب الرحلات على خلط الجد بالهزل، ونثر عناصر الفكاهة في كتبهم.

أدب الرحلات في التاريخ العربي والإسلامي:

عرف التاريخ العربي والإسلامي أدب الرحلات منذ القدم، وكانت العناية به عظيمة في سائر العصور، ولعل من أقدم نماذجه رحلة التاجر سليمان السيرافي بحراً في المحيط الهندي في القرن الثالث الهجري، ورحلة سلام الترجمان إلى حصون جبال القوقاز عام 227هـ، بتكليف من الخليفة العباسي الواثق؛ للبحث عن سد يأجوج ومأجوج.

ثم تأتي رحلات كل من المسعودي مؤلف كتاب: مروج الذهب، والمقدسي صاحب: أحسن التقاسيم ومعرفة الأقاليم، والإدريسي الأندلسي في نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، هذا بالإضافة إلى رحلة الرحالة المؤرخ عبد اللطيف البغدادي.

وتأتي رحلة البيروني (ت 440 هـ المسماة (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) نموذجاً فذاً، إذ تعد وثيقة تاريخية مهمة تجاوزت الدراسة الجغرافية والتاريخية إلى دراسة ثقافات مجتمعات الهند القديمة، إذ يتناولها البيروني بالتحليل ويقارن بينها وبين اللغة العربية على نحو جديد.

ثم يأتي ابن بطوطة، وهو أعظم رحالة المسلمين، وقد بدأت رحلته عام 725 هـ من طنجة بالمغرب إلى مكة المكرمة، وظل زهاء 29 سنة يرحل من بلد إلى بلد، ثم عاد في النهاية ليملئ مشاهداته وذكرياته على أديب كاتب يدعى محمد بن جزي الكلبي، بتكليف من سلطان المغرب، وسمّى ابن بطوطة رحلته تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، وروى ابن بطوطة مشاهداته لبلدان إفريقية، وكان هو أول مكتشف لها، كما صور الكثير من العادات في مجتمعات الهند، بعد ثلاثة قرون من الفتح الإسلامي لها. وهذه الرحلة في عمومها صورة شاملة دقيقة للعالم الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري، وبها إبراز الجوانب مشرقة للحضارة الإسلامية وشعوبها، بما لا نجده في المصادر التاريخية التقليدية.